

النشاط الثقافي في الغرب

انكلترا

رسالة من توفيق صايغ

امناز المشهد الثقافي ، منذ بعثت لكم برسالي الماضية ، بمدد من العواصف الكاسحة ، أثارها التفكير الجماهيري على الفنون والآداب في زينا المعاصر .

فن حديث ... أم قذارة !

خلال الشهرين الماضيين اقام معهد الفنون المعاصرة للكولاج ، يفم قطعاً لفنانين من مختلف انحاء اوروبا ، هي خيرة نتاج هذا الضرب من الفن منذ ظهر قبل ٤٠ سنة للوجود .

وكان أبرز ما في المعرض جناح فيه مجموعة لوحات تنكية رسمها (والاصح ان أقول « صنعها ») الفنان الاسباني الطريف سلفادور دالي Dali في ١٩٣٠ ، كانت هي مدعاة الثورة ، التي تعدت دالي ذاته الى المعرض بكامله فالى الفن الحديث بأسره. وترزعت الثورة جريدة « ديلي سككش » ، وهي جريدة شعبية تمش على سرد الاخبار والقصص المثيرة وتختص بعرض المفاصد عرضاً سطحيته الوعظ وباطنه الاثارة ، فقامت الآن تنصب ذاتها حامية النشء الانكليزي البريء من مفاصد الفن الحديث ، مدافعة عن النظافة و« الذوق السليم » و« الاخلاق العامة » ، واتخذت حملتها صفة مقالات متسلسلة لاحد محرريها ، جاء في احداها : « سيقتح في لندن عما قريب معرض للفن ، إذا صح ان نسمي هذه الفاذورات فناً . هو أقرف معرض رأيت في حياتي . ولن استغرب ابداً اذا وصل لسعي في الساعات القليلة القادمة ان البوليس دام مقره واقفله : فلو ان هذه الجريدة نشرت شيئاً يشبه ولومن بعيد الرسوم المعروضة لاغلت الى غير رجعة ، ولو ان فيلماً سينمائياً حوى مشاهد كالتى تصورها اللوحات لمنعته المراقبة ، لكن اى طفل يستطيع منذ الغد ان يذهب الى المهد اذا ما دفع الرسم الزهيد ويشهد هذا كله . ونمى المحرر على قطع دالي انها مكشوفة صريحة ، تصرح في عرضها لجسد المرأة بكل شيء « ولا تترك مجالاً للخيال . » واختم احدى مقالاته بقوله : «ومها قال خبراء الفن وادعوا ، فان قطع دالي ليست فناً ، ولست ارى فيها إلا فاذورات واضحة غير مقنعة . واني اشعر بالاسف نحو الفنانين الآخرين الذين سنظرو لوحاتهم الى جوارها . واكرر : ان هذا المعرض الذي يسام الشعب في ميزانيته يجب ان يفتتح للعموم قبل ان تنزع قطع دالي ويقفل عليها في صندوق محتوم . »

واقترح المهد ان تملق المجموعة على علو عشرة اقدام فلا تنسى رؤية التفاصيل فيها بوضوح ، لكن الجريدة التي تبلغ سعة انتشارها ثلاثة اضعاف « التايمز » رفضت العرض وقابت الحملة ، واتصلت بالهيئات المختلفة ، وجندت معها مجلس الآداب العامة ، مما اضطر ادارة المهد الى التسليم وسحب صور دالي من المعرض ، وحمل المحرر على ان يصرح في مقاله الاخير : « لقد سُحِب دالي - لقد انتصرت الحشمة والذوق السليم . »

بقي ان نقول ان هذه الجريدة التي أقامت ذاتها حامية الفضيلة والاخلاق العامة ، لم تستنكف اثناء الدفاع عنها عن نشر التفاصيل الفضفاضة عن الكاهن الذي اقتيد للمحاكمة لتحرشه بثلاث سنوة مسنات في باص ، وعن الفتى السادي

الذي اعتدى جنسياً على فتاتين رفقي وأسامهم عذاباً لا يصدق ، وعن اللورد الشيخ الذي اعترف باتصاله بشابين في عمر احفاده ، وعن غيرهم وغيرهم ، وأن نقول ان هذه الجريدة التي رأيت لراماً عليها ان تحمي الشبيبة من الذهب الى المهد والتفرج على رسوم الجسد العاري ، لم تر لراماً عليها ان تحميم من خطر آخر : فلم يحظر بيالها قط ان تذكر ان هؤلاء الفتية لا بد لهم ، اذا ما توجهوا للمهد ، ان يمروا ، قبل الوصول اليه ومن اى طريق جاءوه ، بمشترات من زهرات الليل البليبة ، المششات في هذه المنطقة الثقافية!

صورة تشرشل من غير هالة

منذ احتفلات انكلترا في آخر تشرين الثاني بعيد تشرشل الثانيين ، تنوسيت احداث اليوم ، كلاحفالات العديدة وخطاب العرش والتصريحات السياسية ، لكن شيئاً واحداً لم تستطع الصحافة او الشعب ان تناساه : صورة تشرشل التي رسمها غرام صطرلند Sutherland .

فقد عهد أعضاء البرلمان الى صطرلند برسم صورة لصاحب العيد لتقديمها اليه باسم . وصطرلند من اشهر فناني انكلترا واشدم غلوا في منحاه الحديث ، وهو ليس من مصوري الاشخاص ، ولم يسبق له ان رسم الا اثنين ، هما صبرست موم واللورد بفر بروك .

رفع الستار عن الصورة نهار العيد ، فصمعت الحضور هذه اللوحة الصغراء الحردلية للرجل المهرم المتوثب ، المقطوع الرجلين ، المجرد من الهالة السحرية الخالدة الشباب التي يحاول المحافظون لإحاطة رأسه بها ، وأصفوا لتشرشل يشكروهم على الهدية التي قبل انه ظل متزداً ثلاثة ايام في قبولها او رفضها ، ويصفها بأنها «مثال عظيم للفن الحديث» - لكن من يعرف رأي تشرشل في الفن الحديث ، ويذكر ما قاله عنه قبل عام من انه قطع غم من غير راع ، يدرك انه قصد ان يهاجم الصورة دون ان يخرج عن حدود اللياقة . وما ان خرج تشرشل من القاعة ، وتركت الصورة معروضة مدة ساعة حتى احتدم الجدل وثار النواب (الذين يابون على الفنانين ان يتدخلوا في مشاكل السياسة لكن يسمحون لانفسهم بالتدخل في مشاكل الفن) ، وارتفع صوت اللورد هيلشام يصف الصورة بانها « محزنة ومقرفة » وانها وصاحبها «يجب ان يلقيا في التيمس» . ويردف انها اهانة للسير ونستون وللشعب : فانها تظهره رجلاً مسناً قاسياً لثيماً وصل آخر المطاف في حياته . لقد بالغ الفنان في إساعة تصوير السير ونستون وعجز عن اظهار خصائه الرئيسية : « الرفعة والنبل . » وقالت زوجة بيفان وهي ذاتها عضو في المجلس : « اني ممتجة بالصورة كل الاعجاب ، وان اللوحات الناجحة هي دوماً مثار جدال . » واشترك معظم النواب بعدها بالنقاش .

وانتقل الهرج والمرج الى الصحافة والقراء ، فترامت عشرات الرسائل كل يوم الى كل جريدة في البلاد ، فبعضها تحييد ومديح ومعظمها مهاجمة قاسية وتقريع ، وسلطت الجرائد على الفنان ولوحته السنة حداداً ! ومن امتنع التعليقات ما قاله احد النواب : استطيع بعد تفكير طويل ان اقول اني اطأطىء الرأس خجلاً من تلك الصورة : فانا اعتقد انها لوحة عظيمة ، وانها في غضون قرن او نصف قرن ستمتبر اعظم صورة انتجت هذا القرن - لكني لا اعتقد ان أعضاء المجلس كان هدفهم ان ينتج الفنان الذي اتدبوه اعظم لوحة في القرن ، بل ان يشتروا صورة ليهدوها لرجل في الثانيين من عمره ، صورة يكون هو راضياً عنها » - وهو تعليق لم يكن ليصدر ، كما ترى ، إلا من عضو في برلمان .

النشاط الثماني في الفـرب

وصف لانكترا جديدة وقد سادها الحكم الدكتاتوري التسمفي الرهيب، وقضي فيها على الفرد والانسان العادي قضاء مبرماً ، وديست الحرية بمختلف مظاهرها ، وتولى الناس الهلع والخوف من رقيب لا يعرفونه لكنهم يشككون حتى في اقرب مخلوق اليهم ان يكونه ، وحرّم الحب واضحى جريمة . كتاب هائل يأخذ بجماع الفارء لكنه يلقي الرعب في قلبه . واذا ما كانت قراءة الكتاب تلقي الرعب ، فاعساها تحدث مشاهدة حوادثه في المتفرج ؟

الجواب على هذا التساؤل جاء في اواسط كانون عندما قامت شعبة التلفزيون في مصلحة الاذاعة البريطانية بعرض الكتاب ك مسرحية . فلم يكن قد مضى غير دقائق قليلة على بدء العرض حتى انشغلت جميع الخطوط التلفونية لمصلحة الاذاعة ، وتواتت الاحتجاجات على عرض هذه التمثيلية بالذات . ويعتقد ان السياسة لعبت دوراً في رد فعل المتفرجين هذا ، وان الشيوعيين الذين ادركوا ان الدكتاتورية التي عنانها اوروبيل هي المتمثلة في الوقت الحاضر في الدكتاتورية الشيوعية ، كانوا من وراء الاحتجاجات ، بدليل انها بدأت تنبث في الجزء الاول من المسرحية ، قبل ان تبدأ مشاهد القسوة والعنف التي كانت مبعث الاحتجاج .

واهتمت الصحافة بالموضوع وقد تراكت عليها رسائل القراء ، واختلفت الجرائد بين حاملة على مصلحة الاذاعة لعرضها مسرحية يلعب فيها العنف دوراً كبيراً ، كمشاهد التعذيب والعرق والدم والفثران والتابوت وسواها ، ومشاهد الحب الميكانيكي المكشوف ، حاملة عليها لهذا ولانها اثار الفزع في النفوس ، وأدت الى اصابة احدى المتفرجات بنوبة قضا على حياتها ، ولان هذا كله حدث في يوم احد ، اليوم الذي يأمل المتفرجون فيه ان يروا مسرحيات هادئة ناعمة ، مبهجة الخاتمة ، تدغدغ احلامهم ، لا مسرحيات شرسة ، فاجمة الخاتمة ، تحرمهم الاحلام والنوم الذي يجلب الاحلام . اختلفت الجرائد بين حاملة على مصلحة الاذاعة ، وهي الاكثر عدداً ، وبين بعض منها مدافعة عنها مهنئة لها على جرأتها وعلى حسن عرضها للكتاب . وحمل مادته ورسائله الى المتفرجين وهم ملايين بعد ان كانت مقصورة على قرائه وهم آلاف . وتقدم عدد من النواب بمشروع قرار للبرلمان يطالبون فيه بمنع الاذاعة من تقديم تمثيلات من النوع الخيف ، كما تقدم عدد آخر بمشروع قرار مضاد يرمي الى تمزيقها . وكان سؤال جميع الاوساط : ماذا تقول مصلحة الاذاعة ذاتها ؟ وهل تعيد عرض التمثيلية بدون حذف او تحوير مساء الخميس كما كان مقرراً ؟

وأعلن مدير الاذاعة بحزم ان التمثيلية ستعاد دوفا ادنى تعديل . وذكر معارضيه بان الاذاعة سبق فنهت المتفرجين ان يعبدوا الشيوخ والاطفال عن الاجهزة ليلية العرض ، وان المكالمات والرسائل التي استلها كان كثير منها مجذأ ، وانه كمادته لن يعبر اهتماماً للمكالمات والرسائل ، للمعارضة منها او الفانصرة . وقال ان هدف الاذاعة من العرض كان ان تنقل للمتفرجين القصة التي ضمها كتاب « ١٩٨٤ » الذي وصف بانه الطرفة الادبية لواحد من اعظم كتابنا في هذا العصر .

وجاءت ليلية الخميس ، واعيد عرض التمثيلية بكاملها . وعاد النقاش من جديد .

بعد ان خفت هذه التصريحات البرلمانية والجاهرية المتسرعة ، وأغلبا من أشخاص رأوا صوراً فوتوغرافية للوحة لا اللوحة ذاتها ، عكف النقاد على درسها ، وخرجوا من ذلك الدرس باطراء للفنان وللوحة ، معتبرين انها طرفة اصيلة . فيما قاله أريك نيوتن ، اكبر ناقد فني في انكترا : « في رأيي انها صورة عظيمة ، تستطيع كالوحة وكصورة أن تضاهي أحسن رسوم فيلاسكويه ورمبرانت وغويا ... انها صورة رجل عظيم ، لكنها ليست مغناطيساً يجذب محي عبادة الابطال ... ان المصور المقبلة سترى فيها آية فنية نتجت عن لقاء فنان دقيق الملاحظة لانسان آخر أشمل مخيلته الخلاقة - وانها لهذه الشرارة الكهربائية التي تنطلق من الرجل المصور الى الرسام المصور ، التي لها يمودالفضل في نجاح جميع الصور العظيمة . » وعلق أوزبرت لانكستر Lancaster على ان عدم رضى الجمهور وموضوع الصورة عنها لا يضيرها شيئاً ، فقال ان حاشية هنري الثامن وصحبه لا شك انهم لم يرضوا بصورة هولباين له ، وان فيلاسكويه لم يمس اي اهتمام للذين ارادوه ان يضع هالة حول إنوسنت العاشر ، وإن صورة مانيه لكليانصو هوجت بمثل ما هوجت به صورة صطرلند لنشرشل .

أما صطرلند ذاته فكان قد تنبأ قبل ان يزاح الستار عن الصورة بقوله : « اني اتوقع انتقاداً لهذه الصورة ، لاني اظن ان فكري عن السير ونستون تختلف تمام الاختلاف عن فكرة الرجل العادي ، رجل الشارع ، عنه ... اني رسمت ما رأيت . فانا لا اصور صوراً حلوة ، هادفاً الى مجرد كسب الاعجاب » . لكنه بعد ان ازيج الستار وثار اللغط والنقاش وصاح هيلشام مقترحاً رميه والصورة في النهر ، سئل عن رأيه في هذه الحملات النقدية ، فأجاب بكل براءة : « النقد ؟ لاني لم أسمع أي نقد . »

١٩٥٤ ضد ١٩٨٤

« ١٩٨٤ » قصة كتبها جورج أوروبيل Orwell في ١٩٤٩ وكانت أشهر مؤلفاته وآخر ما كتبه قبل وفاته في مطلع ١٩٥٠ . وهي وصف لانكترا كما تخيل المؤلف انها ستكون بعد ثلاثين سنة من الوقت الحاضر ،

هذه المجرة

طبعت في مطابع « الآداب » التي تعلن استعدادها لطبع الكتب والمجلات والنشرات التجارية طبعاً أنيقاً وسريعاً ، على آلاتها الاوتوماتيكية .

بيروت - الحندق العميق - شارع الشدياق

ص . ب ١٠٨٥ تلفون ٢٦٩٩٦